خطاب المرأة في القرآن الكريم "دراسة بلاغية"

إعداد:
غدير سالم الشمايلة

المشرف:
الأستاذ الدكتور جاسر أبو صفية

قُدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الدكتوراه في
اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

أيار، 2007

ب

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة "خطاب المرأة في القرآن الكريم "دراسة بيانية" وأجيزت بتاريخ (٢٠٠٧/٠٥/٠٦).

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور جاسر أبو صفية، مشرفا أستاذ الأدب الأموي– اللغة العربية	.....
الدكتور صلاح جرار، عضوا أستاذ الأدب الأندلسي، اللغة العربية	.....
الدكتور محمد حسن عوّاد، عضوا أستاذ النحو العربي، اللغة العربية	.....
الدكتور يوسف القماز أستاذ مشارك في البلاغة، اللغة العربية (جامعة مؤتة)	.....

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ ٧/٥/٢٠٠٧

الإهداء

إلى جميع نساء الأرض...

تحية تقدير وإشفاق وثقة...

إنَّ الله لا يضيع أجر عامل...

ولا يزن الذكورة والأنوثة بميزان أهل الأرض...

ولكن بميزان التقوى...

إلى زوجي زياد...

الذي أدرك معاني هذه الرسالة...

فمنحني الفرصة لبثّها...

إلى أطفالي:

هديل، معز الدين، مظفر...

راجية منهم الصفح لعجزي وانقسامي

بين الأمومة ورسالة البحث العلمي...

إلى أمي وأبي...

بدأوا معي الطريق جسداً وروحاً...

وواكبوا هذا العمل برحمة وشفقة وانتظار...

غدير الشمايلة

الشكر والتقدير

أتقدم بعظيم الشكر وكبير التقدير إلى أستاذي الكبير الدكتور جاسر أبو صفية، الذي درَّبني ومنذ كنت في مرحلة البكالوريوس على حريَّة التفكير، ونقد النص الموروث بموضوعية وتجرّد، فلا قداسة للقديم لقدمه، ولا استخفاف بالحديث لحداثته، وإنَّما القداسة والاستخفاف ميزانهما مقدار إصابة النص للحقيقة، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها كان أولى بها.

وقد بذل معي جهداً مضنياً في تتبع ما سطّرت، يقرأ تارة في المظان التي اعتمدتها، ويوجهني إلى مزيد منها تارة أخرى، ويشفق عليَّ من اندفاعي نحو الموضوع وحماستي لصورة المرأة في القرآن الكريم، ورغبتي في دراسة خطابها. ويكتب من الملحوظات ما يجعلني أسدد الخطى وأحاول التزام جادة الطريق. وما من شيء يسعد الطالب مثل إحساسه بأن ثمَّة شخصاً ما يعيش معه جو البحث ويتبنى قضية الموضوع، ولقد كان نعم الموجّه والمعلّم، ومع أن طبيعة البحث تطال –أحياناً– جنس الذكور وتنعى عليهم تطاولهم على المرأة والانتقاص منها، وعدم التنبّه لقدراتها الإبداعية والفكرية، إلاَّ أنَّه تغاضى عن هذا الاندفاع، ربما لأنَّه لمس فيمن حوله بعض جوانب هذا الانتقاص من شأن المرأة، وربَّما لأنَّه يؤمن بأنَّ حرية البحث العلمي تستدعي السماح لطالب العلم أن يعالج القضايا التي تقلقه بالطريقة التي يراها مناسبة، لست أعلم!! فله منّي كل المحبَّة والتَّقدير والاحترام، واعدة إياه أن أنهج نهجه في الدرس والبحث والتقصي سائلة الله أن يحفظه ويرعاه.

غدير الشمايلة

قائمة المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الإهداء..... ب

الشكر والتقدير..... ج

قائمة المحتويات..... د

الملخص..... ط

المقدمة..... 1

بين يدي البحث (التمهيد)..... 14

الفصل الأول: خطاب امرأة عمران..... 18

دراسة الخطاب..... 21

الالتفات ودلالاته في الخطاب..... 26

دلالة تقديم المسند إليه..... 28

الإبهام والتصريح..... 31

أسلوب الاعتراض..... 33

دلالة التشبيه..... 35

العدول عن الكناية إلى التصريح..... 39

دلالة التوكيد وخروجه إلى غرض الدعاء والتوسل..... 44

الفصل الثاني: خطاب مريم بنت عمران (رضي الله عنها)..... 48

دراسة الخطاب..... 49

دلالة تنكير الرزق..... 54

هل كانت مريم –رضي الله عنها– نبية من الأنبياء..... 60

دلالة النداء "يا مريم"..... 63

وقوع مريم بين اصطفائين..... 64

دلالة تقديم السجود على الركوع..... 66

خروج النفي إلى معنى التعجب..... 71

دلالة الأقلام..... 73

مريم في السياق القصصي..... 77

خروج فعيل إلى معنى فاعل في قولها..... 82

البشارة..... 84
مريم تتلقى الرد الإلهي على خطابها..... 98
التعتيم على مدى حملها بالمسيح..... 100
الولادة..... 101
هل سُرّي عنها بالجدول أم بالمسيح؟..... 103
صيام مريم عن الكلام واكتفاؤها بلغة الإشارة..... 105
الفصل الثالث: خطاب ملكة سبأ..... 107
بلقيس في كتب المفسرين..... 113
دراسة الخطاب..... 117
دلالات وقوع الخبر وتلقيه..... 119
التجنيس ودلالته في خطاب الهدهد..... 122
ملاحظ بيانية في خطاب الهدهد..... 125
الالتفات من ضمير الغائبة إلى ضمير الغائب الجمعي..... 127
بلقيس القارئة الناقدة..... 128
نقدها للكتاب..... 131
بلقيس تنفذ مبدأ الشورى..... 133
اختيار الحرب سمة ذكورية..... 135
قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها..... 137
بلقيس في مواجهة العفاريت..... 140
بلقيس في مملكة سليمان..... 141
وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين..... 143
بلقيس تدخل الاختبار الأخير..... 144
دلالة "مع"..... 146
الفصل الرابع: خطاب امرأة العزيز..... 147
دراسة الخطاب..... 150
العدول عن التصريح بالأسماء العلمية إلى الأسماء الموصولة..... 151
الالتفات من ضمير المخاطبة إلى ضمير المتكلم الجمعي..... 152
دلالة التخيير في "عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا"..... 154

سمة التكرار في قوله: "عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً"..... 155
مشهد المراودة..... 156
وقالت هيت لك / تعدد القراءات..... 162
"ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه"..... 165
همّ زليخا من نوع آخر!!..... 167
مشهد المباغتة..... 169
خطاب اللوذعية "قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلاّ أن يسجن أو عــذاب أليم"..... 171
يوسف يدافع عن نفسه: "هي راودتني عن نفسي"..... 174
وصف النساء بالكيد عدول عن تخصيص التهمة لامرأة العزيز إلى إطلاقهــا على جنس النساء..... 177
موقف الدارسين من خطاب زوجها..... 179
خطاب النسوة في المدينة..... 182
امرأة العزيز تواجه المكر بمثله..... 187
"حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلاّ ملك كريم" خطاب التنزيه..... 191
العدول عن اسم الإشارة القريب إلى اسم الإشارة البعيد/ مواجهة نسائية..... 193
رسالة أخيرة إلى يوسف υ..... 197
الفصل الخامس: خطاب أم موسى υ..... 200
دراسة الخطاب..... 203
أم موسى: دلالة الإضافة..... 206
تأملات بلاغية في السياقين..... 208
"لا تخافي ولا تحزني": بلاغة التقديم والتأخير..... 211
"وأصبح فؤاد أم موسى فارغا": صورة بيانية..... 213
وقالت لأخته قصيه..... 216
خطاب أخت موسى..... 219
دراسة الخطاب..... 222
خطاب امرأة فرعون..... 225
دراسة الخطاب..... 227

أسلوب التعظيم "لا تقتلوه"..... 229
بيان التقديم والتأخير..... 231
الخاتمة..... 233
النتائج والتوصيات..... 237
المصادر والمراجع..... 250
ملخص البحث باللغة الإنجليزية..... 257

خطاب المرأة في القرآن الكريم "دراسة بلاغية"

إعداد

غدير سالم الشمايلة

المشرف

الأستاذ الدكتور جاسر أبو صفية

ملخص

تتبع هذا البحث خطاب سبع نسوة ورد ذكرهنَّ في القرآن الكريم هنَّ على التوالي: امرأة عمران، مريم بنت عمران، ملكة سبأ (بلقيس)، امرأة العزيز، أم موسى، أخت موسى، امرأة فرعون –رضي الله عنهنَّ–.

وكان مقصده دراسة هذا الخطاب وتبيّن ملامحه البلاغية، وسماته البيانية، وموقف القرآن من هذا الخطاب، ثم موقف الدارسين والمفسرين.

وقد تعرض البحث لبعض تجاوزات المفسرين على للنص القرآني، وإسقاطهم لموقفهم الشخصي من المرأة على تفسيرهم للآيات، من مثل اتهام بلقيس (ملكة سبأ) بالتحكم في شعبها وقالوا إنّها لم تجد من يردعها، أو اتهام امرأة العزيز بالزنا لمراودتها يوسف υ، مع أن القرآن لم يتهمها بذلك، أو إشارتهم لامرأة عمران بالاستبداد لنذرها مولودتها لخدمة المسجد وتعليلهم ذلك بمهلك زوجها.

فحاول البحث مواجهة مثل هذه الاستنكارات، ووضع المرأة في مكانها الصحيح الذي أراده لها الإسلام: سيدة في بيتها، متعبدة في محرابها، ملكة عزيزة في شعبها أختاً حنونة في أخوّتها، عاشقة مخلصة في حبّها.

وقد استعان البحث بالمعاجم اللغوية لاستنطاق معاني المفردات من مثل لسان العرب لابن منظور وفقه اللغة لأبي منصور الثعالبي، كما استعان بكتب التفسير –ما كان معتدلاً منها في توجيهه وتأويله للآيات– من مثل الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، وروح المعاني للألوسي وغيرها، ومن كتب البلاغة استعان بدلائل الإعجاز للجرجاني، ومفتاح العلوم للسكاكي، والبيان والتبيين للجاحظ وغيرها.

وكان منهج البحث أثناء ذلك وصفياً تحليلياً.

المقدمة

"ألا تدعون المرأة المسلمة تتحدث عن نفسها من فضلكم؟"

كانت هذه العبارة مدخلاً للمناقشة النسوية التي جرت عام (1995) في المؤتمر السنوي للمنظمة الأمريكية لدراسة الشرق الأوسط، وقد أدلت بهذه العبارة الكاتبة المسلمة الأمريكية (جيزيلا ويب) التي ناقشت أحوال المرأة المسلمة، والمشكلات الخطيرة التي تواجهها باستمرار في كل المجتمعات، والأقليات المسلمة وغير المسلمة في أرجاء العالم.

وقد قامت النساء العشرة المشاركات في هذا المؤتمر بوضع كتاب أودعن فيه المقالات التي تقدمن بها لشرح أحوال المرأة المسلمة، التي تعاني من ترتيل المسلمين والعرب للآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تنادي بحقوق المرأة، ولكنهم في الوقت نفسه يحاربون كل امرأة ترفع صوتها للتحدث عن المأساة الواقعية، وقد وسم الكتاب بـ(دعونا نتكلم)[1].

وذهب الخطاب النِّسْوي إلى أن غياب صوت المرأة في مجال التفسير القرآني، قد أوجد فجوة هائلة في التراث الفكري، يساوي صمت النص نفسه بشأن ضرورة ربط وتكامل خبرات الرجل والمرأة مع قداسة القرآن.

كما أنَّ جُلّ ما خلّفه التراث الفكري الإسلامي لفهم أو إدراك العدالة الاجتماعية في الإسلام، يأتي من منظور الذكور وحَسْب، وبالتالي فهو لا ينقل خبرات الأنثى ومنظورها[2].

وتستغرب الكاتبة المسلمة أمينة ودود –من جامعة فرجينيا– وهي عالمة بالقرآن ومؤلفة كتاب القرآن والمرأة، تستغرب كيف يتسنى للذكر أن يُعطى السابقة على الأنثى ليقرر ما هو عادل للجميع، دون أن يُزوّد بمعلومات خاصّة عن كينونتها وتصورها[3].

وعلى العكس من ذلك فالرجل مزوّد بما مفاده أن صوت المرأة عورة، وبالتالي فقد حُظر عليها المخاطبة العامة (فميدان الخطابة مقصور على الرجال)[4].

والذي يتابع الخطاب النسوي الآن، يذهله عدد القضايا النسائية المطروحة على بساط البحث، ويقظة النساء لقضية الفصل الجنسي في المجتمع الإسلامي –باسم الدين– لصالح الذكور، كي تظل المرأة قابعة في ظلام الجهل والخدمة المنزلية، بحجّة أنَّ هذا مكانها الأنسب، وأن عظمتها تتجلى خلف جدران الغرف، فهي "تهز العالم بشمالها حين تهز سرير الطفل

---

[1] جيزيلا ويب وأخريات، دعونا نتكلم، ترجمة إبراهيم الشهابي، دار الفكر، لبنان، ط1، 2002.
[2] المرجع نفسه، ص50.
[3] أمينة ودود، تفسير قرآني بديل ووضع المرأة المسلمة، (فصل في كتاب دعونا نتكلم)، ص56–57.
[4] المصدر نفسه، ص57.

بيمينها"، وغير ذلك من أباطيل لا تمت للدين بصلة، لتكتشف أن مروّجي هذه العبارات أنفسهم من ممتهني المرأة، والعاملين على استعبادها.

فنابليون بونابرت قائل العبارة السابقة هو أحد الذين شجعوا رجال الدين على تأكيد وترسيخ هذا الواقع، وساعده في ذلك الأعراف التي تتحكم في الناس، فيخلطون بينها وبين التعاليم الدينية، وقد أجاب حين سُئل عن المرأة التي يفضّلها، فقال: "هي الأولد من غيرها، المرأة هي ملك يدنا ولسنا نحن لها، لأنها تلد لنا الأولاد، وأما الرجل فهو لا يلد لها، فكما أن الشجرة المثمرة هي ملك البستاني، فإن المرأة أيضاً هي متاع الرجل"[1].

وعبارة نابليون غير مُستغربة؛ فقد سبقه إليها بعض علماء الدين المسلمين في تفسيرهم للقرآن الكريم، وذهبوا إلى ما هو أسوأ من ذلك حيث حاولوا فهم درجة المفاضلة بين الرجل والمرأة في قوله تعالى: (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)[2].

فقد أورد صاحب البحر المحيط أبو حيان الأندلسي آراء المفسرين من السلف حول معنى الآية الكريمة، بصورة يخجل لها من يمتلك أدنى بصيرة وفهم لمعنى العدالة والمفاضلة بين الذكر والأنثى في الإسلام، يقول في معنى الدرجة: "فضيلة الميراث والجهاد، قاله مجاهد وقتادة، أو بوجوب طاعتها [أي المرأة للرجل] وليس عليه طاعتها، قاله زيد بن أسلم وابنه، أو بالصداق، أو القيام عليها بالإنفاق وغيره وإن اشتركا في الاستمتاع، قاله ابن إسحق، أو بملك العصمة وأن الطلاق بيده، قاله قتادة وابن زيد، أو بما يمتاز منها كاللحية، قاله مجاهد، أو بملك الرَّجعة أو بالإجابة إلى فراشه إذا دعاها، أو بالذكورية أو بكون المرأة خلقت من الرجل أو بالسلامة من أذى الحيض والولادة والنفاس، أو التزوج عليها والتسري وليس لها ذلك، أو بكونه يعقل في الدية بخلافها، أو بكونه إماماً بخلافها"[3].

فهل تعد اللحية امتيازاً؟، والذكورة امتيازا؟! والتسّري امتيازاً؟ وحمل الدية امتيازاً؟ أمر يبعث على العَجَب، مع أنَّ ابن عباس ψ قد فهم الدرجة على أنها درجة تكليف لا تشريف، تقتضي الرجل أن يتغاضى عن أشياء كثيرة قد تصدر عن زوجته، ليبلغ من مكارم الأخلاق ما

---

[1] مصطفى الولي، المرأة والحداثة، مجلة الحياة الطيبة، العدد الثامن عشر، 2005، ص411.

[2] سورة البقرة، الآية: 228.

[3] أبو حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ج2، ص201.

يجعل له درجة عليها، فقال: "الدرجة إشارة إلى حض الرجال على حسن العشرة، والتوسع للنساء في المال والخلق؛ أي أن الأفضل ينبغي أن يتحامل على نفسه"[1].

وقال: "إنِّي لأتزين لامرأتي كما تتزين لي، وما أحب أن أستنطف كل حقي الذي لي عليها، فتستوجب حقها الذي لها علي[2]؛ لأن الله يقول: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)[3].

إنها درجة صعبة جعلت ابن عباس يفهم أن من يتبوأها سيبقى في حالة من التكليف المضني، والمراقبة المستمرة، والتنازل عن بعض حقوقه كي يحافظ على درجته، ولنقل إن هذه الدرجة لا يتبوأها إلا قلة من المؤمنين، لأنها تعني التغاضي والصفح الدائم.

بل إن الآية في فحواها دعوة لتبوّء هذه الدرجة، وليست وصفاً لواقع حاصل، فكأن معناها: وليكن للرجال عليهن درجة قدر استطاعتهم، وهذا يشبه قوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ)[4]، حيث لا تعني أن الناس في حالة حج، ولكنها دعوة للقيام بهذه الفريضة.

كما أن التفاضل بناءً على التركيب الجسماني للإنسان يلغي القاعدة القرآنية التي تذهب إلى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)[5]؛ فالمفاضلة تكون بالتقوى، وهي سمة معنوية لا أثر فيها لشكل الإنسان وتركيبه.

وإنه من غير اللائق أن يعتبر هؤلاء أن اللحية مما فضل الله به الرجل على المرأة، فلو كانت اللحية شرفاً إذاً لأطلق جميع رجال الأرض لحاهم، إعلاناً منهم لهذه المزية، ولكان المجنون الملتحي والأحمق ذو الشارب خيراً من المرأة، وإذاً لاعتبرنا كل من لا يطلق لحيته ناقصاً في ذكورته!

ولو كان التفاضل بالتركيب الجسماني صحيحاً إذاً لاعتبرنا عدم قدرة الرجل على الحمل والإنجاب تخلفاً له عن المرأة، وإذاً لاعتبرنا قدرة المرأة على إدرار الحليب، وعجز الرجل عن ذلك رفعاً لشأنها فوق شأنه درجات ودرجات، بل سنعدّ رقتها وجمالها وفتنتها التي تفوق فتنته رفعاً من شأنها فوق شأنه درجات ودرجات.

وقد عقبت الكاتبة عابدة المؤمن على قول أحد المفسرين بأن حمل الجنائز والصلاة عليها مما فضل الله به الرجل على المرأة، فقالت: "وأما حمل الجنازة فلا يتوقع أن تقوم به

---

[1] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ج3، ص83.

[2] المصدر السابق، ج3، ص82.

[3] سورة البقرة، الآية: 228.

[4] سورة آل عمران، الآية: 97.

[5] سورة الحجرات، الآية: 13.

النساء، مع وجود الرجال ديانة ونخوةً وعرفاً، ولذلك لم تشر كتب الفقه إلى هذا الأمر، فلم تحلله ولم تحرمه، ولا ننسى –بالمناسبة– أن المرأة تمتاز وتتفرد بحمل الجنين، عوضاً عن حمل الجنازة، وفي هذا إنصاف وعدل وتوازن، فهنّ يحملن الأحياء، وهم يحملون الأموات"[1].

وفي أثناء قراءتي لتفسير الحسن البصري وجدته يفسّر قوله تعالى: (وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ)[2]، على أنَّ السفهاء هم النّساء والصغار[3]، وليس في المعاجم ولا تاريخ اللغة، أو حتى في الاستعمال العرفي للغة ما يشير إلى أن السفهاء هم النساء، وقد أنكر عليه الدارسون اللاحقون هذا التفسير الشائن.

وقد ندد سيد قطب بمثل هذه التوجيهات المنكرة للآيات، فقال: "إنه عبث تصوير الموقف كما لو كان معركة حادة بين الجنسين، ولا يرتفع على هذا العبث محاولة بعض الكتاب الجادين تنقّص المرأة وثلبها، وإلصاق كل شائنة بها، سواء أكان ذلك باسم الإسلام أو باسم البحث والتحليل"[4].

وعند تتبّعي للنماذج النسائية في القرآن الكريم وتحليل خطابها بلاغياً، لاحظت النزعة الحسية (غير اللائقة) التي يعالج بها كثير من المفسرين الآيات القرآنية الخاصة بشئون المرأة، على حين أن القرآن الكريم يمس الموضوعات الحساسة التي تتعلق بجسد الإنسان وكرامته مساً لطيفاً (كنائياً) يحفظ حياء الإنسان وخصوصياته، فقد كنى عن علاقة الرجل بالمرأة بالملامسة، قال تعالى: (أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء)[5].

وكنى عمّا كان سيحدث بين يوسف υ وامرأة العزيز –لولا لطف الله– فقال: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أن رَّأى بُرْهَانَ رَبِّهِ)[6].

ولكنّا نجد بعض المفسرين يتجرأون على القرآن الكريم، ويقبّحون الألفاظ تارة من اجتهادهم الخاص، وتارةً باعتمادهم على الإسرائيليات مما يبعث على الاستغراب، من ذلك مثلاً

---

[1] عابدة المؤيد العظم، سُنّة التفاضل وما فضل الله به النساء على الرجال، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 200، ص53.

[2] سورة النساء، الآية: 5.

[3] الحسن البصري، تفسيره، تحقيق: محمد عبد الرحيم، دار الحديث، مصر، (د.ت)، ج1، ص257.

[4] سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط9، 1980، ج5، ص643.

[5] سورة النساء، الآية: 43.

[6] سورة يوسف، الآية: 24.

ما نقله القرطبي حول معنى (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا)[1]، من كلام مجاهد حول سيدنا يوسف υ: "حلّ السراويل وجلس منها مجلس الرجل من امرأته"[2].

ونقلاً عن ابن عباس (وحاشاه): "حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن"[3].

أيليق هذا في معرض وصف الأنبياء وقدسيتهم؟!

وفي تفسير قوله تعالى: (وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ)[4]، نقل القرطبي عن ابن عباس أنّه قال: "أي شدوهن وثاقاً في بيوتهن، من قولهم هجر البعير أي ربطه بالهجار وهو حبل يشد به البعير"[5].

أهكذا يُفهم معنى الهَجْر؟ حاشى لله أن يفهم ابن عبّاس هذا، أيليق ذكر مثل هذا وترجمته لنساء العالم في أوروبا وأمريكا وأي مكان، ممن يرغبن في دخول الإسلام، لنقول لهن: لقد أمر الإسلام بربط المرأة كالبعير؟!.

وفي تناول المفسرين لمشهد الصدّيقة مريم –رضي الله عنها– يجرؤ بعضهم على القول إنَّ مريم عند مشاهدتها للوحي جبريل υ تحركت شهوتها فانحدرت نطفتها إلى رحمها –إشارة إلى كيفية حدوث الحمل–!![6].

وعند تصويرهم لملكة سبأ حين عبرت الصرح، فوصفها الله سبحانه بقوله: (حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا)[7]، قالوا إن ساقيها كانتا كثيرتي الشعر، وأن سليمان قد علم بذلك فأراد أن يتبين الأمر!!.

كما قالوا بأنها كشفت عن ساقيها لأجل سليمان υ لإباحة النظر قبل الخطبة[8]، وبذلك تحول موضوع الدعوة إلى الله إلى خِطبة ونكاح!!.

إن تسليط الضوء على المرأة عند كثير من المفسرين، بوصفها موضوعاً للشهوة، أمر شائن.

---

[1] سورة يوسف، الآية: 24.

[2] القرطبي، أبو عبد الله محمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص110.

[3] المصدر نفسه، ج9، ص110.

[4] سورة النساء، الآية: 34.

[5] القرطبي، ج5، ص112.

[6] نقل هذا المعنى الألوسي شهاب الدين البغدادي في تفسير (روح المعاني) لسورة مريم، وقد استنكره ونزّه مريم –رضي الله عنها– وانظر كذلك تفسير الجواهر للطنطاوي في تفسيره لسورة مريم.

[7] سورة النمل، الآية: 44.

[8] الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود، (ت: 1270هـ)، روح المعاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ج10، ص203.

فقد أرادت الآيات القرآنية من رسم صورة المرأة التنبيه على مواهب المرأة الروحية وقدراتها الفكرية، وحذقها السياسي كما في قصة ملكة سبأ، وسمو عاطفتها الدينية كما في قصة آسيا امرأة فرعون، وحنوها غير المتناهي كما في قصة أم موسى، وحسها الاستخباري الذكي كما في قصة أخت موسى، وحيائها وعفتها كما في قصة ابنتي شعيب.

وفي خضمّ هذا العرض، لم تتطرق الآيات لهيئتها وجسدها، أو لونها وأنوثتها.

وبعد، فالغرض من هذا البحث الموسوم بـ"خطاب المرأة في القرآن الكريم" أن يرصد الظواهر التعبيرية في خطاب المرأة ويتتبع أسلوبها في القول والحوار والجدل، وأن يلاحظ مدى استخدامها لمستويات البلاغة الثلاثة (البيان والمعاني والبديع) في إيصال ما في نفسها من معانٍ وأفكار، ومدى تمثلها لقوله تعالى: (وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا)[1]، على اعتبار أنها مكلفة بهذا الأمر –مثل الرجل– بالبلاغة وقوة التعبير.

وقد يقول قائل: لا بُدّ أن يكون أسلوبها في أعلى المستويات الإبلاغية؛ لأن الناقل لخطابها هو الله –سبحانه– وقد نقله على لغة القرآن وأساليبه، التي هي أرقى الأساليب وأعلاها، ومن ثمَّ سيكون نصيب المرأة وافراً لا محالة.

وهذا القول يفتقر إلى الدّقة؛ لأن القرآن الكريم قد أثنى على بعض الأساليب البشرية في التعبير، كما ذمَّ بعضها الآخر، كقوله تعالى على لسان الدهريين: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ)[2].

فهذا الكلام بليغ جداً لأنه نقل بلغة القرآن الكريم، وهو من قِبَل النظم والتركيب في أعلى المستويات، لكنه لا يُعدّ بليغاً من قِبَل الرسالة الفكرية التي يحملها.

ومعلوم أن البلاغة تقوم على ثنائية اللفظ والمعنى، وهي ثنائية معقدة قامت على أساس تحليلها نظريات كثيرة في علم البلاغة، بين مشيدة بأهمية اللفظ، وأخرى بأهمية المعنى، وثالثة باستحالة الفصل بينهما، وقد شغلت هذه القضية حيزاً كبيراً في المصادر القديمة، مثل البيان والتبيين للجاحظ، والشعر والشعراء لابن قتيبة، والخصائص لابن جني وغيرها.

ولا يعني هذا أن المعوّل في القرآن الكريم يقوم دائماً على صحة المعنى عند حُكمه على بلاغة الخطاب، بل ثمة مواضع كان المعوّل فيها على صحة التركيب والنظم، من ذلك نقل القرآن الكريم للأحكام التي صدرت عن الناس بحق أهل الكهف، ومحاولتهم معرفة عدد السنين التي قضوها داخل الكهف؛ إذ قال تعالى:(سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ

---

[1] سورة النساء، الآية: 63.

[2] سورة الجاثية، االآية: 24.

ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (ت 543هـ)، **أحكام القرآن**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (1974م).

ابن عطية الأندلسي (ت 546هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد الله الأنصاري، ط1، الدوحة، قطر، (1982م).

العظيم، عابدة المؤيد، **سُنّة التفاضل وما فضّل الله به النسّاء على الرجال**، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان (2000م).

العقّاد، عباس محمود، **المرأة في القرآن**، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ت).

ابن غلبون، أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم (ت 699هـ)، **التذكرة في القراءات**، تحقيق: سعيد صالح زعيمة، ط1، دار ابن خلدون، الإسكندرية، مصر، (2001م).

ابن فارس، أبو الحسن أحمد الرازي اللغوي (ت 395هـ)، **الصاحبي في فقه اللغة**، تحقيق: عمر فاروق الطباع، ط1، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، (1993م).

الفخر الرازي، محمد الرازي فخر الدين (ت 604هـ)، **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، (1981م).

القاسمي، محمد جمال الدين (ت 1322هـ)، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، (1994م).

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ)، **تأويل مشكل القرآن**، دراسة: عمر محمد سعيد، ط1، مركز الأهرام، مصر، (1989م).

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ)، **تفسير غريب القرآن**، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1978م).

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: سالم مصطفى البدري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (2000م).

القزويني، الخطيب (ت 745هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: بهيج غزاوي، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، (1988م).

قطب، سيد، **التصوير الفني في القرآن**، ط8، دار الشروق، مصر، (1983م).

قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ط8، دار الشروق، مصر، (1981م).

ابن قيم الجوزية، (ت 751هـ)، مدارج السالكين، تحقيق: محمد حامد الفقي، ج3، دار الفكر، بيروت، (1988).

الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس، مصر.

ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي (ت 774هـ)، **البداية والنهاية**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، بيروت، لبنان، (1993م).

ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي (ت 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، (1995م).

كحالة، عمر، **أعلام النساء**، ط10، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (1991م).

كحيل، عبد الوهاب، **الجريمة والجنس**، ط1، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، (1991م).

الكنوجي البخاري، محمد الصديق حسن، **حسن الأسوة بما تبث من الله ورسوله في النسوة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

المتنبي، أحمد بن الحسين (ت 354هـ). **ديوان المتنبي**، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، ج1، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

المراغي، محمد بن مصطفى (1364هـ)، **علوم البلاغة**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

مرسي، إبراهيم، أضواء على ملكة سبأ، **حوليات كلية الآداب**، الحولية التاسعة، (1988م).

المرنيسي، فاطمة، **الحريم السياسي**، ترجمة: عبد الهادي بكاش، دار الحصاد، دمشق، سوريا.

المرنيسي، فاطمة، **سلطانات منسيات**، ترجمة: فاطمة الزهراء، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، (2000م).

المرنيسي، فاطمة، **ما وراء الحجاب (الجنس كهندسة اجتماعية)**. ط4، المركز الثقافي العربي، المغرب، (2005م).

المسدّي، عبد السلام، **الأسلوب والأسلوبية**، ط2، الدار العربية للكتاب، (1982م).

المسعودي، أبو الحسين (ت 346هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، (1989م).

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت 261هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).

مصطفى، محمود السيد حسن، **الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية**، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، (1981م).

ابن المعتّز، عبد الله بن محمد (ت 296هـ)، **البديع**، تحقيق: أغناطوس كراتشفوفسكي، ط3، دار المسيرة، بيروت، لبنان، (1982م).

مغمولي، إسماعيل، الخطاب القرآني في ضوء العلوم اللغوية، **مجلة الموقف الأدبي**، دمشق، العدد 393، (2004م).

ابن منبّه، وهب، **التيجان في ملوك حمير**، ط1، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث، اليمنية، صنعاء، اليمن، (1347هـ).

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (ت 711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (د. ت).

منى، زياد، **بلقيس امرأة الألغاز وشيطانة الجنس**، ط2، رياض الريّس للطباعة والنشر، (1998م).

الهندي، علاء الدين علي المتقي (ت 975)، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، تحقيق: بكري حَياني، ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (1985م).

ودود، أمينة، **تفسير قرآني بديل ووضع المرأة المسلمة (مقالة في كتاب دعونا نتكلم)**. ترجمة: إبراهيم الشهابي، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، (2002م).

الولي، مصطفى، المرأة والحداثة، **مجلة الحياة الطيبة**، العدد الثامن عشر، (2005م).

ويب، جيزيلا، **دعونا نتكلم**،. ترجمة: إبراهيم الشهابي، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، (2002م).